

شاعر مصري قابض على الجمر يرفض الهزيمة

أحمد الشهاوي

عاشق صوفي يراهن على القصيدة



● هزيمة الشعر لصالح الرواية، وخروجه من الساحة، ودخول زمن الغيبة والانسحاب من المعارك الحامية والدائمة، أفكار يرفضها الشهاوي، لأن الزمن كما يقول كفيف بالغرابة.



● الشهاوي يعتبر أن الشعر الذي يهّمه الآخرون بالموت في هذه الفترة، له الفضل الأكبر عليه؛ جعله شهيرا وطاف به العالم، وحصل بفضل على جائزة اليونسكو في الآداب وجائزة كفافيس.

الصوفية ويهدمها بأسلحتها ليقم عالمه الخاص المعاصر المتفرد، ينقض النظام فيهدمه بوسائله نفسها، بنظام آخر، وتصوف آخر يرجو للعالم أن يدخل فيه التغيير،

لا تغييراً جذرياً لا شكلياً، ولا لفظياً، فهو انقلاب على نظام الكون، ونظام اللغة.

نراه يرفض تجارة الدين، وينكر الحديث باسم السماء، فهمته ومهمة الشعراء أن ينتفضوا ضد الأصوليين الانتهازيين. يكتب في إحدى قصائده "ساكنب/ لعلي أحكم دولتي وحيدا/ دون برلمان/ ودون شعب/ ودون ذقون تقتل الكتب/ سلما للسماء".

ونراه هادئا سمحا رقيقا لا يُنَاطح جدران المادية، فيقول "اكتبوا فوق قبري/ كان هنا/ ومر عبرا/ وإن كان فيكم سخي فيلزد/ كان حب القطط الوحيدة والملايس والعطور/ والمرأة الزهرة".

ورغم صلابته فأحزانه طافية واستشرافه للموت يبدو واضحا في معظم قصائده، خاصة في الديوان الأحدث الذي يحمل عنوان "ما أنا فيه"، إذ يقول في إحدى قصائده "ماذا لو مت وحيدا في الليل/ من سيكفن لغتي/ من سيكفكف دمع الكتب الصاحبة على رأسي/ ومن سيلقن شعري/ شهادة أني كنت بلا أشجار تنبت في كفي/ ماذا لو ضرب الأرض/ تصوت طيور كانت تحيا من إيقاع كلامي/ ماذا لو جرى الموت وجلس على ركية كرسى لي/ وخط خطاب وفاة لا رحمة فيه ولا استمهال/ من سيمنع لوحا محفوظا فوق الصدر/ ومن سيهني سفري للنسيان الأبقى".

ويكشف الشهاوي لـ "العرب" أن هذه القصيدة تحديدا أبكته وهو يخطها، وتكيبه كلما قرأها لأنها تشتم فترة غياب الأحبة، شخصوا وكتبا وأماكن وأشياء، حيث يشعر باشتياق عارم تجاه الأحباب، ابنه الذي يدرس في أميركا، أصدقائه الشعراء في كل بلاد العالم، صديقه أدونيس، أساتذته ومعلموه، زملاء عمله، مقتنياته الفنية التي تزيد عن أربعمئة لوحة، كتبه التي خطها، والكتب التي أعجب بها فاشترى منها نسخا عديدة ليهدئها لكل من مر به من أصحاب كتب الشهاوي يوما "دماغي ضريح/ لمن ماتوا غيلة/ وعلى انفراد/ وكلما صحا واحد/ قتلني وانتقم من غريب عليه".

ويبدو أن مشاركته في برنامج الكتاب الدوليين بالولايات المتحدة سنة 1991 فتحت أمامه أبواب الإطلال على مجتمعات الثقافة العالمية، فبعد حصوله على درجة الزمالة

في الأدب من جامعة "أيو" الأميركية عام 1991، بدأت ترجمة أشعاره إلى الكثير من اللغات مثل الإنجليزية والإسبانية والفرنسية والإيطالية والبرتغالية.

وبعد أربعة أعوام حصل على جائزة اليونسكو في الآداب، ثم حصل على واحدة من أعظم الجوائز التي يرئو لها الشعراء في العالم، وهي جائزة كفافيس عام 1998.

صدرت للشهاوي كتب شعرية عديدة، من بينها "كتاب العشق"، و"كتاب الموت"، و"قل هي"، و"مياه في الأصابع"، و"الوصايا في عشق النساء"، و"لسان النار"، و"باب واحد ومنازل"، و"أسواق الغمام"، و"سماء باسمي"، و"ما أنا فيه"، فضلا عن "نواب الله" وهو أحد الكتب المفردة لخطاب الإسلام السياسي.

ويكتب مقالات دورية في عدة صحف مصرية وعربية وأجنبية.

يهدى الشاعر معظم كتبه إلى شخصية وحيدة هي نوال عيسى، والدته التي رحلت وهو دون الخامسة من عمره.

شفرة ضد الشفرات

تمثل السمة البارزة لشعر الشهاوي في احتيازه حدود اللغة وميله لصناعة تراكيب جديدة ساحرة ولافتة، فيقول في إحدى القصائد "كتبت ألف قصائد ولم أصر رسولا".

ويهدف في قصيدة أخرى "أنا ابن الجيرة، زادي القلق، وطريقي هو الشك في ذاتي، والبحار التي تطل على روعي ملانة بالحبر الذي منه أرتوي". وتظهر مسحة التصوف كسمة محورية في كتابات الشهاوي الشعرية والنثرية، وهي ما تلفت أنظار النقاد منذ البدايات لنجد الناقد الراحل عز الدين إسماعيل يكتب عنها يوما "هذه صوفية تنقض الصوفية، ونظام ينقض النظام، وشفرة تضاد الشفرات". ويحاول صناعة شفرته الخاصة، حيث يبني الكلام بالوجود، ولا يبني الوجود بالكلام، مناقضا لكل الشفرات التي عهدناها في شعر الصوفية، وإذا كانت "كن" شفرة الوجود، فالشهاوي يبحث عن "كن" أخرى، ومن هنا فهو يناقض

شاطح، لا تقيده حدود أو أعراف جمالية أو فنية، صامت، بعيد عن الرثرة، خالق أساطير، حوار ذاتي الباطني أعلى من سواه، وذو فيض طبيعي لا ينضب".

ويكتب الشهاوي لنا ناصحا معشر المبدعين، فيقول "انهدب نحو ذاك لتترك هناك، وحيدا وكثيرا ومعتزلا صامتا، لا تكلم الناس إلا من وراء فيك، أو من قلب فيك، ولكنك لغتك ذاك، ولونك لون روحك، حيث تميل وتذهب نحو ما تختاره". تلك تصورات قلم فد، وروح مبدعة خلاقة، نسجت مشوار كفاحها خيطا خيطا دون تعجل أو ضجيج.

بدأت رحلة الشهاوي في شمال مصر، حيث ولد في مدينة مدياط شمال القاهرة في نوفمبر سنة 1960، حيث الطبيعة الهادئة، والمجتمع المنسط، والرغبة العارمة لدى الناس في الصعود والتطور. درس الصحافة في كلية الآداب جامعة أسيوط، جنوب القاهرة، بحثا عن رابط بين مهنته البتاعة ومهنته التي تفجرت صغيرا في المدرسة عندما كان يكتب الشعر العمودي التقليدي، وفي أسيوط تخرج سنة 1983 ليعمل بمجلة "نصف الدنيا" الأسبوعية الصادرة عن مؤسسة الأهرام، وصدر له أول ديوان شعر بعنوان "ركعتان للعشق" سنة 1988، ثم أعقبه بكتاب "الأحاديث"، وصاحبتهما ضجة واسعة في الأوساط الثقافية.

يقول إن الشاعر لا يوجد بالقوة وإنما بالفعل، بالنص لا بالنصر الإعلامي، وبحضور الحرف لا بحرفة الدعاية، بالرؤية لا بالزفة، وبالمرحلة لا بمعرفة الشئلة والجماعة، بذهب القول لا بزيف النقد المصاحب.

هناك شعراء وكتاب أسماؤهم أكبر من آثارهم التي تركوها وراءهم، غير أن الزمن، كما يقول الشهاوي، قادر على فعل التصفية والتنقية بغيره بزيف النقد المصاحب. هناك شعراء وكتاب أسماؤهم أكبر من آثارهم التي تركوها وراءهم، غير أن الزمن، كما يقول الشهاوي، قادر على فعل التصفية والتنقية بغيره بزيف النقد المصاحب.



درجته أنه يرى نفسه شاعرا كبيرا جدا، فيقول في قصيدة أخرى "أنا واحدي جمع/ وبدوتي قسي النهر واضحة/ وقد خرجت عن الصراط".

نموذج نادر

يبقى الشهاوي نموذجا غريبا لشاعر تحقق في زمن أقول، ومبدع قاوم في ظل تحولات كبرى، وحامل قلم تجاوز حدود اللغة، فترجمت أشعاره إلى لغات العالم كثيرة، فأبهرت وأسعدت، ويُقر بوجود شعراء كذابين، وموتى، لا يغادرون لحظات إلقاء قصائدهم.

يقول إن الشاعر لا يوجد بالقوة وإنما بالفعل، بالنص لا بالنصر الإعلامي، وبحضور الحرف لا بحرفة الدعاية، بالرؤية لا بالزفة، وبالمرحلة لا بمعرفة الشئلة والجماعة، بذهب القول لا بزيف النقد المصاحب.

هناك شعراء وكتاب أسماؤهم أكبر من آثارهم التي تركوها وراءهم، غير أن الزمن، كما يقول الشهاوي، قادر على فعل التصفية والتنقية بغيره بزيف النقد المصاحب. هناك شعراء وكتاب أسماؤهم أكبر من آثارهم التي تركوها وراءهم، غير أن الزمن، كما يقول الشهاوي، قادر على فعل التصفية والتنقية بغيره بزيف النقد المصاحب.

ويضيف القول إنه لو أتج لكتاب الشعر الحرة في السفر والتجوال والترحال والانتقال من مكان إلى آخر، ومن بلد إلى بلد بشكل طبيعي دون قيد أو شرط، لنفدت الطبعة الأولى من كل كتاب في أقل من أسبوع. مشيرا إلى أنه عندما صدرت له أربعة كتب شعرية ونثرية في آدب العشق، طبع من كل كتاب في مشروع مكتبة الأسرة بمصر 25 ألف نسخة، نفدت جميعها ولم تتبق نسخة واحدة في مخازن الهيئة. اعترف الشهاوي بأنه لولا الشعر لما سافر شرقا وغربا وجاب دول أميركا اللاتينية والولايات المتحدة، وكافة الأطوار العربية، والهند واليابان، وأوروبا، وقد كافاه الشعر، وأسعده، لأنه آمن من البداية بأنه لا يقبل الشراكة، وفضل على المناصب، وعلى المال، واعتبره سعادته الحقيقية. ورغم أنه القائل "كتبت كثيرا ولم أستطع إشعال ثورة/ كتبت حد الموت ولم أستطع شراء مقبرة/ كتبت حد إشعال أصابعي شمعا/ ولم أجد اسمي في سجل الذين ستغفر ذنوبهم"، إلا أنه سعيد بكل ذلك، سعيد بفعل الكتابة

يصن الشاعر المصري على عبقرية الشعر، وعظمت، وجماله، وخلوده، ورغم أنه يضع عنوانا لافتا لكتاب يضم مختارات من شعره صدر منذ أيام عن دار ظلال في الأردن، هو "أنا خطأ النحاة"، فإنه يعتز ويفتخر ويتباهى بخطأ اقتراه الشعر، وخطأ انجراره خلفه، وخطأ استمراره فيه. خطا لذيد ومُحب ومغفور من ضميره سلفا، يزيد نقاء وصفاء ويقرب خطاه من الجنة.

وكانه يقول لنا "أنا سعيد بجريمتي، راض عنها، مؤمن بان الله سيغفر للشعراء كل خطأ وخطيئة". الشعر في نظره لا يتراجع، وإنما الإنسان هو الذي يتراجع، وفي اعتقاده لا يموت، لكن قيم الحياة هي التي تحتضر.

يقول الشهاوي في حديثه مع "العرب"، "الشعر ليس في محنة، بل هي وسائل الإعلام، ودور النشر، وحال الجامعة والمدرسة، ليس هناك اهتمام بتثقيف القلب، وتشكيل العقل، ورد الوعي بالخيال والسؤال، وتربية الروح، وتشذيب النفس، وغسلها من أدرانها وأكدارها".

ويؤكد أن التصور القائل بأن كتب الشعر لا تباع، هو مجرد أكذوبة يرددها الجميع بمن فيهم الشعراء أنفسهم، ويُمد كفه إلى مكتبته ليخرج بعض كتبه وعل غلفتها كلتا الطبعة الثالثة والطبعة الرابعة.

ويضيف القول إنه لو أتج لكتاب الشعر الحرة في السفر والتجوال والترحال والانتقال من مكان إلى آخر، ومن بلد إلى بلد بشكل طبيعي دون قيد أو شرط، لنفدت الطبعة الأولى من كل كتاب في أقل من أسبوع. مشيرا إلى أنه عندما صدرت له أربعة كتب شعرية ونثرية في آدب العشق، طبع من كل كتاب في مشروع مكتبة الأسرة بمصر 25 ألف نسخة، نفدت جميعها ولم تتبق نسخة واحدة في مخازن الهيئة.

اعترف الشهاوي بأنه لولا الشعر لما سافر شرقا وغربا وجاب دول أميركا اللاتينية والولايات المتحدة، وكافة الأطوار العربية، والهند واليابان، وأوروبا، وقد كافاه الشعر، وأسعده، لأنه آمن من البداية بأنه لا يقبل الشراكة، وفضل على المناصب، وعلى المال، واعتبره سعادته الحقيقية. ورغم أنه القائل "كتبت كثيرا ولم أستطع إشعال ثورة/ كتبت حد الموت ولم أستطع شراء مقبرة/ كتبت حد إشعال أصابعي شمعا/ ولم أجد اسمي في سجل الذين ستغفر ذنوبهم"، إلا أنه سعيد بكل ذلك، سعيد بفعل الكتابة

من هؤلاء الشعراء المصري أحمد الشهاوي، الذي يظل ممسكا بجمر الشعر، ينفخ فيه لبيبي مشتعلا، ويضيء شعلة تحضر في عتمة حين ظلها النقب، وظلمها المد الأصولي المناهض لكل إبداع وجمال.

مصطفى عبيد
كاتب مصري

قبل أكثر من خمسة وثلاثين عاما سال الشاعر محمود درويش صديقه الشاعر سميح القاسم في قصيدة أهداها له حملت عنوان "أسميك نرجسة حول قلبي" سؤالاً مباشراً، أجاب عنه بسؤال آخر، فقال "أما زلت تؤمن أن القصائد أقوى من الطائرات؟ إذن كيف لم يستطع امرؤ القيس فينا مواجهة المذبحة؟"،

كانه كان يقُر مبدئيا بعجز الشعر عن مقاومة القبح، ومنع الحرب، ووقف الدمار، والشعر وقتها ديوان العرب الأول بالفعل، ونافذتهم للوح، فالناس تبادل القصائد كمشغولات، وأهداها المحبون لبعضهم كخطابات وصل.

تقهقر الشعر وعلو الرواية بين العامة، جعل طرح السؤال نفسه غير مقبول، ويبدو للوهلة الأولى كسؤال إجابته معروفة. فهو غائب تقريبا عن معركة الإرهاب والفساد والتخلف والفوضى ورفض الآخر. يبدو بعيدا عن الشارع، ونخبويا لا شعوبيا، ومنسوبا ومهتمسا، ومتروكا من معظم جمهور القراءة. لكن هناك قلائل مازالوا يراهنون على الشعر، ويقفون في العراء منفردين رافضين إقبال التوايبت على الشعراء ودفنهم إلى الأبد، ويتكرون انزواءه ويقاومون بإصرار كل حجر يُرمى على المعلقة السبع أو قصائد طاغور.

مشاركته في برنامج الكتاب الدوليين بالولايات المتحدة

مطلع التسعينات فتحت أمام الشهاوي سبل الإطلال على مجتمعات الثقافة العالمية، وعندما بدأت ترجمة أشعاره إلى الكثير من اللغات

عبقرية الشعر
بابي الشهاوي أن يُقر بهزيمة الشعر، بخروجه من الساحة، ودخول زمن الغيبة والغيوبية، بانسحابه من المعارك الحامية والدائمة، ويحسبه غافيا وسينهض.